ثلاث (اتصالات هاتفية عبر تليفونها : ٢٤٤٣٥٩٩ .
ولقاء واحد بجروبى روكسى ، وآخر حوار ينشر لها .
هذه هى علاقتى القصيرة .. بالكتابة .. أليفة رفعت !!)

كانت البداية بالإسماعيلية "جامعة قناة السويس" ، مع عديلى د/عبد المجيد أحمد عبد المجيد المتخصص فى الأنف والأذن والحنجرة حيث عرفنى بالصدفة البحتة على زميلة له هى د. / أمانى حسين رفعت ، كانت هى ابنة الكاتبة أليفة رفعت البكر .

وعلى الرغم من أنها إنسانة لبقة – واجتماعية ، إلا أنها بمجرد ورود سيرة الأدب .. وأمها .. و .. لم نجدها !! قال لى عديلى : إنها مهتمة بالثقافة والأدب ولكنها رافضة تماماً لكتابات أمها .. بل لأمها ذاتها !! وكانت (أليفة رفعت) كالعفريت بالنسبة لى أسمع عنها كثيرًا ولم أقرأ لها شيئًا . وقد طاردتنى شهرتها وكتبها المترجمة فى السفريتين الوحيدتين لى للخارج.. ولا أعتقد أن سيكون لهما ثالث إلى (ألمانيا وهولندا) .. فما أن أقول : إنى مصرى حتى يقولوا لى : تعرف أليفة رفعت أو نوال السعداوى بالطبع كان ذلك فى وسط المثقفين من الأدباء !!

قلت له : هذه الفرصة لن أتركها .. أريد كتبها ! .

وحضرت لى الكتب عن طريق ابنتها الدكتورة .. بلا إهداء .. ولا لقاء ..

ثلاث كتب متواضعة جداً فى مستوى الطباعة والغلاف ومتوسطة فى عدد الصفحات وبهما أخطاء مطبعية ونحوية عديدة .. على عكس ما رأيت فى الطبعة الألمانية.. الكتاب أنيق وشيك وعدد صفحاته كبيرة وكثيرة !! وأدركت وقتها لماذا حينما كتب الأستاذ " أحمد بهاء الدين " عنها فى عموده يوميات قال إنه قرأها مترجمة إلى الإنجليزية .. أكيد وجد الكتاب الفخم الضخم ذا الغلاف المصقول !!

Scanned with CamScanner

قـــابلت الأستاذة أليفة رفعت بعد جهد فى صبـــاح مشـــمس، بعـــد ثـــلاث اتصـــالات هـــاتفية أقنعتها خلالها بنقل المقابلة من نادى الشمس إلـــى " جروبـــى روكسى " .. واستمر اللقاء ساعتين .. بين الريكوردر وأكواب الشاى .. والبـــوح الانسيابى منها .. ولكنه نوع من البوح يحسسك برغم تدفقه أنه بنسبة لا يستهان بها من الخيال .. لعدم ترابطه .. وأحياناً لعدولها عنه عند الاستيضاح !! ولكن الـــذى يميزه الجـــراءة والسرعة فى تكسير الحائط الرابع . وبالطبعٍ لم يخل الأمـــر مـــن حوار عن الجنس .. ليس لســـبب إلا أن النقد الغربى قد صنفها فى خانة : (د.هــ . لورانس) وموروافيا !! واعتبرها من كاتبات الجنس فى الوطن العربى بعد قصتهـــا (من يكون الرجل ؟!) .. مع إنى بعد قراءة أعمالها باللغة العربية لم أشعر بذلك !!

على العمـــوم كان من الواضح أن هذا الأمر لا يغضبها .. بل يروق لهـــا . بالرغم من ترددها كثيراً بين البوح والإخفاء فى بعض المواضيـــع فتكتفـــى فيهـــا بمانشـــت عريض بلا تفاصيل كان لديها إحساس بأنها مراقبة .. أو إنهـــا تحت الحصار .

بل إن ملابسها وجلستها وحركتها تعكس ذلك .. فهى تضع الحجاب الحديـــث الذى يخفى الرأس والشعر ولكنها تلبس بنطلوناً ضيقاً !! بل إنهـــا مـــع ارتفـــاع الشمس وعمودية أشعتها .. خلعت الإيشارب بهدوء وقالت : الدنيا حر !! ثم أنهـــا كل ١٥ دقيقة أو ٢٠ دقيقة تقوم لدورة المياه !! وفى المرة الوحيدة خلال ســـاعتين التى تركتها بنفس حجتها دورة المياه .. عدت فوجدتها عبثت بـــأوراقى .. وأدارت التسجيل لتسمع ما قالت !! ولم تنكر ذلك بل ذكرت عدة وقائع حدثت لها جعلتهـــا حريصة .. خائفة .. تعيش فى رعب .. قالت :

- خطفوا منى جواز سفرى لإرغامى على السفر إلى إسرائيل لإلقاء محاضرة أهاجم فيها الإسلام .. بهدلونى .. وعشت أيام رعب وأنقذتنى السفارة المصرية .

(ولكنها لا تقول لك من الذين خطفوا جوازها ما جنسيتهم ؟! ثم كيف تدخـــل إسرائيل بدون جواز ســـفر ؟! ثم ما قصة السفارة ؟! قلت لها : أقســـم لـــك أنـــى سأنشر التفاصيل ولكنها قالت : وبعدين ؟!) .

Scanned with CamScanner

– كل الكاتبات حيموتوا على الترجمة لأعمالهم .. جنة الترجمة متلهفات عليها وعلى دخولها ولكنهن لا يعرفن أن جنة الترجمة لا يدخلها إلا الكاتبات الرخيصة، وسوف تصفعهن جميعاً مثلما فعلت معى .. لا مال .. ولا أمان .. لقـــد ضربنـــى (جونسون ديفيز) حينما طالبت بحقوقى المادية عن مؤلفاتى .

– لقد حضرت مؤتمر إسلامى وأعلنت توبتى عن الكتابة الســـابقة . وقدمــت بحثًا عن تعدد الزوجات ، قلت : إنه رحمة بنا فى زمن الرجل أبو عين زايغـــة .. بدل الخليلات .. والخلاعة .. وقلة الحياء .. أيهما أفضل أن تضبطى زوجك مــع الخادمة أم أن تعرفى أن اليوم .. يوم الزوجة الثانية !! فى زمن ألا أمان للرجل ، يصبح الزواج من امرأة واحدة مستحيل . والحياة مع امرأة واحدة طـــول العمــر مستحيل !! لقد سافرت للكعبة وتبت عن الأدب !!

– مؤسسة غربية طلبت منى أن أكتب رواية عن (الشذوذ الجنسى بين النساء فى مصر) .. قلت لهم : هو فيه النوع ده فى مصر ؟! (قالوا لى : إنى بعت قصة قصيرة لمجـــلة (نصف الدنيا) عن حالة من هذا النوع يمكن أن تكـــبر وتكـــون رواية) .. إزاى عرفوا ؟! القصة لم تنشر ؟! ثم إنها كانت بين رجل وامرأة عـــن الملاحظات التى أصبح الرجـــل يطلبها هـــذه الأيام قبل العناق .. وليســـت بيـــن امرأة وامرأة !!

وشعرت بأنى قابلتها فى الزمن الغلط .. كان يجب أن أقابلها قبل ذلك بكثير . إنها امـــرأة فى رعب وتناقض .. تعيش وفى عقلها البـــاطن إحســـاس بالحصـــار والألم والقهر !! هل يفعل الأدب ذلك بالنساء !!

بعـــد سنة من اللقاء أو كما يقول اللغويون سنة ونيف .

أصدرت ثلاث أديبات مجلة (عيون جديدة) ، اتصلت بـــى فوزيـــة مهـــران تطلب التعاون معهن .. قلت : هذا هو ميعاد نشر هذا الحوار مع "أليفـــة رفعت" .

نريد صور .. صور لها .. صور حديثة ؟! .

أتصلت بها لوسى يعقوب .. قفلت السكة فى وجهها !! .. اتصلت أكثر مـــن مرة كان هناك الأنسر ماشين بصوت ابنتها د / أمانى حسين .. لم نجد إلا حلاً ..

أن نرسم صورتها مع الموضوع . وأثناء إعداد العدد .. كانت مفاجأة .. مـــاذا ؟! من الذى تجرأ ووضع اسم " أليفة رفعت " على الغلاف ، إن ذلك قد يترتب عليــه مصادرة العدد فى الخليج.. إنها محسوبة على التيارات الإباحية !! كيف ياناس أن المرأة تقول فى الحوار : إنها قد حجت لله .. وإنها حضرت مؤتمر إسلامى كـــان معها فيه أنيس منصور ودافعت عن (تعـــــدد الزوجـــات .. فـــى مقـــابل تعـــدد الخليلات) – ثم إنها أمـــام الكعبة .. تابت عن الأدب .. إنها حالة جديدة .. ستجعل العدد يوزع كالصاروخ .. التوبة عن الأدب .. بعد التوبة عن الفن !!

ولكن رفع اسم أليفة رفعت من الغلاف !! ثم حدث تدخل آخر من سـكرتارية التحرير بالقص والنزع داخل الحوار .. تحت سمع وبصر الأديبات الثلاث أصحاب المجلة !! وظللن صامتات .

ونزل العدد فى الأسواق والتوزيع فى : ١ يناير ١٩٩٦ .

يـــوم ١٢ يناير ١٩٩٦ أطلقت صافى ناز كاظم من (مجلــة المصــور) صرخة .. فقد كتبت فى ركنها الصحفى (إضاءة) (أليفة رفعت : رحلـــت فـى صمت) .. كان غريباً أن يأتى النعى من صافى ناز كاظم وهى محســوبة علـى تيار يختلف بالقطع عن تيار كتابات (أليفة رفعت) .. ولكن أخلاق صـــافى نـاز كاظم كانت ضد التصنيف والتعليب والتسميات والتجزئة ونشرت : رحلـــت فـى صمت فى ٤ يناير ١٩٩٦ ونشر نعيها فى صفحة الوفيات بالأهرام باسمها الأصلى " فاطمة عبد الله رفعت " فلم ينتبه أحد !!

فذهبت من فورى إلى الدكتورة (سامية الحفناوى) أحد أقاربهـــا .. والتـى تكتب من حين لآخر مقالات طبية عن الأعشاب والتخسيس وتعمل بوزارة البحـث العلمى .

قلت لها : أريد أن أذهب لأسرتها للعزاء .. وبخاصة أنى تعرفت تخاطيفى من قبل على ابنتها .

قالت : هذا مستحيل .. إن حوارك معها .. كان موضوع سرادق العزاء ، لقد جاء فى وقت حرج .

قلت لها : رحم الله أليفة .. ورحمنا جميعًا .

والآن إلى حوارى معها .. أنشره .. كما نشر .

بـــدأت الكتابة فى الخمسينات وترجمت أعمالها إلى الإنجليزية والألمانيـــة وخمس لغـــات أخرى واعتبرتها دور النشر الأوروبية الفرخة التى تبيض ذهبًا .

لتنتقل من منزلها للعالمية قبل أن يعرفها القارئ محليًا !! فلا أحد يعرف مـــن هى " أليفة رفعت " إلا بعض المهتمين .. وقليل من الكاتبات اللاتى يرددن الاســـم فى توجس وحذر ، ولكن لا يوجد ناقد تجاسر وكتب عنها حرفًا واحدًا وإن كـــانت كل من : فريال غـــزول واعتدال عثمان قد ذكرت عنها شيئًا فى بعض الكتابـــات أما الأجـــانب فقد قالوا عنها .. وكتبوا .. واعتبروهـــا ود . نـــوال الســـعداوى .. الوجـــه الجـــديد للمـــرأة العربية وقـــال خـــبراء الأدب الهولنديـــون عنهـــا " قصصها لا تقرأ فى جلسة واحدة ولكن تدرس على مهل " .

وهى ترى أنه يكفيها أن أحمد بهاء الدين اعتبرها " أفضل من كتب عن المرأة المصرية حتى الآن فى خصوصيتها " وكتابـــات أليفة رفعت .. هى تفجرات فـــى مقـــابـــل الضغوط التى تفرض على المرأة اغترابها عـــن جســـدها ، أو تجـــاهل نوازعه أو التسامى به .

قلمها قد وضعته فى محبرة سوداء اسمها " الرجل " ! إنها تسأل " من يكـــون الرجـــل ؟! " ولمـــاذا جعل " ليل الشتاء طويل " لديها !! وهل لابـــد لحـــواء أن تعود بآدم ؟ " .. وهذه أسماء أشهر مجموعاتها القصصية ..

.. وتقول :

كان لابد أن أكتب عن الرَّجل والجنس .

- أليفة رفعت اسمها الحقيقى " فاطمة عبد الله رفعت " .
- ولدت سنة ١٩٣١ ولم تنل من التعليم إلا الثقافة النسوية . .
- تزوجت ثلاث زيجات وأنجبت بنتاً وولدين .
- بدأت النشر فى عام ١٩٥٥ .
- سنة ١٩٧٩ تزوجت من المستشرق " رينيس - جونسون - ديفيز " زواجًا عرفيًا . ومن خلاله ترجمت كتبها إلى الإنجليزية .

فلقد رأيت أبى يتركنا ويتزوّج بأخرى غير أمى .

ورأيت خيانة زوج أختى لها ومرضها بسبب ذلك .

ورأيت ضياع حبى .. وشاهدت زوجى فى فراش الخادمة .

ومررت بأكبر خدعة فى قصص الحب والغرام ، أن يحبك رجل ليستغلك اقتصادياً !!

كانت الكتابة فيما يسمونه بالمناطق الخطيرة ضرورة ملحة لى .

الحقيقة لم يمر بحياتى ما يعرف أو مايسمونه " بالفارس " .

قد يكون هذا الفارس موجوداً ولكنى لم التق به وأشك فى وجوده كالغول والعنقاء ولعل الفارس هو الخل الوفى .

فبعد كل ما رأيت كان لابد أن أبحث عن سبب خيانة الرجل وماهو الاختلاف بين أنثى وأخرى ، ولماذا يتزوج الرجل بأخرى ولديه زوجته وبالمصادفة كانت قضيتى الخاصة بظروفى هى أشد قضايا المجتمع والشرق ويسمونها بالجنس .

تجربة خاصة جداً

إذن تجربتك الخاصة .. حياتك .. هى أول ما فجر بداخلك اهتماماً بالجنس والرجل فكيف عبرت عن ذلك فى أدبك ؟!

– نعم حياتى الخاصة فى كتاباتى الأولى هى المفجر للكتابة فمثلاً قصة " هذه ليلتى " فيها الكثير من حكاية زواجى الأول مع مهندس مناجم كنت لا أحبه وكان يكبرنى وأرغمنى عليه أبى ليتخلص من أحد مصائبه فلقد تركنا ونحن أربع بنات ليتزوج من امرأة عندها خمسة أولاد !! فقاومته مقاومة سلبية لمدة أربعة أشهر حتى طلقت منه عذراء . إلا إنى حولت عجزه عن احتوائى عاطفياً فى الحقيقة بعجز جسدى فى رجولته فى القصة ، لأنى مفتقدة لحنان الأب فاعتبرت أن بداية الرجولة هى القدرة على الحب والحنان وليس مجرد الفراش .

Scanned with CamScanner

وقصة " عالمي المجهول " وهى أشهر قصصى ؛ لأنها أول ماترجم لى وجذب الانتباه لكتاباتى هى قصتى مع زوجى ضابط البوليس فى تنقلنا وترحالنا مع أعباء وظيفته وكان مكانها " أجا " حيث تسلمت منزلاً مهجوراً ليكون مكاننا لنا وبدأت فى إعداده وشاهدت فى يوم (حية) وانتابتنى رغبتان معاً أقتلها أو أبقى عليها وأتمتع بجمال منظرها وجاءت القصة إلا أنى تعجبت جداً مما كتبته " فريال غزول " عنها فى ملتقى الإبداع النسائى الثانى فى المغرب سنة ١٩٩٢ فلقد قرأت من النص أنى على غير وفاق جسدى مع زوجى وكان ذلك صحيحاً .

إذا كان الأمر هكذا فهناك تجربة أدبية لا أعتقد أن عبرت عنها من قبل أدبية عربية .

وهى تجربة الحب بين امرأة وامرأة إنها ظاهرة فى قصة صديقتى وقصة (الحدوتة) ولها بصمات فى قصة عالمى المجهول أيضاً ؛ لأنها العلاقة بين المرأة والأفعى فى هذه القصة الأخيرة قال عنها النقد : " إن العلاقة بين المرأة والأفعى قد توحى بنوع من العلاقات السحاقية " !!

- هذه التجربة بالطبع لم أعرفها ولم أمر بها وقصة عالمى المجهول يمكن تصور أن العلاقة بين المرأة والأفعى نوع من الهذيان العصبى المؤقت الذى يصيب امرأة فى الغربة ومحرومة عاطفياً ولكنها فى الحقيقة تفجير للمكبوت والمسكوت عنه الكامن خلف قشرة الوعى أما باقى التجارب السحاقية فى أدبى فقد جاءت من أنى اهتممت بقضية الجنس ومنها هل يمكن الحياة بدون ذلك الرجل القاسى ؟! ولى قصص أخرى تتحدث عن نفس العلاقة بين الرجال وهى قصة " بدرية وزوجها " وفيها عبارة واضحة قالتها أم جابر لبدرية حينما شكت لها قالت : جوزك ده ولو كان امرأة كان زمانه حبل !! وبالطبع كان فيه تنويه لدخول زوج بدرية السجن لمدة طويلة .. ولكنى لا أنكر إننى أحببت أختى التى تكبرنى بسنة أكثر من باقى أخواتى ولكن ذلك بحكم ظروف السن والقرب والغرفة الواحدة والدردشة معاً وليس على أساس جنسى ، ثم إنه فى عالم النساء تجد شيئاً من المساحقة مثل حمامات النساء - تبادل الملابس - القبلات عند السلام .. واعتقد أن مجتمعات الانغلاق والفصل البات بين الجنسين فيها علاقات

Scanned with CamScanner

مثلية ولكن البعض قال بذلك بعد قصة " صديقتى " على سبيل الكيد الأدبى الـــذى يحدث فى كل الأوساط وليس الأدب والنقد بمنأى عنه .

إلى العالمية

كيف انتقلت للعالمية وترجم لك دون أن تمرى بمرحلة المحلية وتعرفى لـــدى القارئ المصرى والعربى ؟!

- قصتى مع الكتابة بدأت ولم أكن قد تجاوزت التاسعة .. وكـــان موضـوع التعبير الذى أكتبه يقرأ فى جلســة بالفصل ، ولكن شراسة أختـــى الكبرى فـى معاملتنا وحرصها على أن نكون حفظة للدروس فقط كبتت هذه المحـــاولات ولـم يجعلها تظهر تحت دعاوى أن بنات العائلات الكبيرة لا ينبغى أن تؤلف الأكـــاذيب والأوهام المسطورة على الأوراق لأن هذا يسىء لها .

ثم حدث أن شعرت بحب جارفٌ لتلميذ فى الكلية الحربية وفجر ذلـــك الحب الرغبة فى الكتابة فكانت خطاباتى له حتى إننا قرأنا الفاتحة سوياً على الزواج بعد تخرجه وكان تعجبه مما أكتب يجعلنى أكتب بتدفق أكثر ثم حـــدث زواجـــى الأول الذى حدثتك عنه وكيف قـــاومته ســـلبياً وخرجت منه عذراء وكان ذلك بســـبب هذا الحب وفاتحة القرآن التى بيننا !!

ثم تزوجت زوجى ضابط البوليس الذى ادَّعى أنه شاعر واكتشفت فيمـــا بعـد كتاب الشعر الذى ينقـــل منه ما يكتب !! وبمجرد أن تزوجنا عام ١٩٥٢ قال لـــى ليلة الدخـــلة سيبك من كلام الكتب وعيشى فى الواقع ولكن بعد حـــادث اكتشـافى لخيانته مع الخادمة تركنى أكتب حتى نشرت قصة أختى وسر موتها فـــى مجلـة "الرســـالة " وكان يشـــرف عليها وقتها " يوسف السباعى " فثـــار زوجـــى ثـــورة عـــارمة ؛ لأنه خاف أن أحكى حكايته بعد أن حكيت حكاية زوج أختى الخـــائن وخيرنى بين الكتابة أو الذهاب إلى بيت أبى ؛ ولأنى كنت أماً ولى أولاد وأعـــرف معنى غياب الأب عن الأسرة فقد عانيت ذلك بغياب أبى عنا .. وقلت لأبقى معـــه حتى ولو كان خيال مآته فإنه يحمى الأسرة من الغِربان !!

Scanned with CamScanner

وبدأت أكتب بأسماء مستعارة مثل " بنت بنها " " عايدة " وفي سنة ١٩٦٥ اكتشف زوجي ذلك وأمسك بكتاب الله وحلفت عليه ألا أنشر شيئا وهو حي .. ووفيت بذلك حتى سنة ١٩٧٤ ولما حضر المستشرق " دينيس جونسون ديفيز " لترجمة قصة " عالمي المجهول " وجد عندي قصصاً كثيرة فقام بترجمتها ونشرت بالإنجليزية قبل العربية وصدرت مجموعة عن دار هاينمان ولذا قفزت من منزلي للعالمية ومازلت أحاول أن أعرف محلياً فهذا هو الذي يرضى الكاتبة .

أعتقد إنك و د. نوال السعداوي أشهر الكاتبات معرفة في الغرب وبخاصة ألمانيا وانجلترا فهل هناك اتفاق بينكما وبخاصة إنهم يقولون : إن الغرب يترجم لكما لأنكما تلعبان على وتر الجنس في حياة المرأة العربية ؟!

- دعهم يقولوا فأنا لست أكثر الكاتبات ترجمة لهن فهناك كثيرات ترجم لهن ولكني و د. نوال السعداوي من أسبق من ترجم لهن هناك سلوى بكر ولطيفة الزيات ورضوى عاشور وكثيرات .

وأعتقد أن هذا السؤال كرر للدكتورة نوال السعداوي وقالت : لا نحن مختلفات - وأنا أتفق معها وأوضح أن الجنس في كتاباتي قضية خاصة وإنسانية أما الجنس في كتابات نوال السعداوي قضية سياسية ومدخل لتحرير المرأة .

أنا أكثر ضعفاً ورومانسية وعفوية وصوفية . ولكني رغم اختلافاتنا لا أحب من يصفها بالإباحية لأن الصدق في الأدب والتعبير يجب ألا يوصف بغير الصدق.

الترجمة والتصوف

● ماهي تجاربك مع الترجمة و د. دينيس ديفيز ؟!

- كان ديفز مستشرقاً وعرض على قراءات دينية متعددة جعلتني أكثر اتجاهاً للدين ومعرفته فالحقيقة إني لست من أسرة متدينة ولم يكن زوجي يعرف كثيراً في الدين بل إني قلت له حرام الخمر فينظر لي ويسرح ! وبشكل غير مباشر تزاوج الإحساس الصوفي لدى مع الدين وعملت حجة وأكثر من عمرة ، ولكن ديفيز كان يريد أن تكون رؤيتي للدين في خدمة الأدب وأن أعبر

Scanned with CamScanner

عن المرأة المسلمة العربية المقهـــورة .. وأحزننـــى أنـــه ســـمى أول مجموعـة بالإنجليزية لى " منظر بعيد لمئذنة " ثم حدث خـــلاف بســـبب تقاربـــات عاطفيـة وعلاقـــات مادية فانتهت علاقاتنا للأسف .. فرغم كل شىء أنا لا أنسى لـــه دوره فى تكوينى كإنسانة وكاتبة – ثم إنه بشكل غير مباشـــر جعلنى بمجرد تركه لـــى أتوجه للقارئ بأشكال إسلامية فى كتاباتى ورب ضارةٍ نافعة .

على العموم قصتى مع العالمية ود. ديفيز أعد لها لتنشر وقد عرض الدكتـور سعد الدين إبراهيم أن يكون النشر لدار سعاد الصباح وأنا أعد أوراقى وأفكر فـــى العرض .

ولكن فيما بعد ترجمت للهولندية والألمانية وقام بذلك د. نـــاجى نجيـب ثـم لليونانية والدنماركية ولا أعرف من يقوم بذلك حتى أفـــاجـــأ بالكتاب !!